الملخص

يتناول هذا البحث منهج غريماس في سيميائية الحكاية عند الدارسين والنقاد العراقيين على مستوى التنظير والتطبيق، وقد ذكر تمهيدا لذلك عن الأصل المعرفي اللساني والدلالي والشكلي والبنيوي لهذه النظرية، وعرض جميع النظريات المختلفة التي أفاد منها غريماس في وضع منهجه الذي اكتمل بعد أكثر من عقدين من الزمن، وقد اختار الباحث مجموعة من أهم الدراسات الجامعية، كانت قد نظّرت وطبقت منهج غريماس وهي: دراسة سيمياء سرد المنامات في الموروث الحكائي للدكتور أحمد عباس كامل، ودراسة فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية للدكتورة إشراق سامي عبد النبي، ودراسة البنية السردية في ملحمة الحرافيش مقاربة سيميائية للدكتور غسان نجم عبد الله، كان بعضها يحتوي على التنظير والتطبيق لمنهج غريماس، وبعضها قدم تنظيرا فقط، وبعضها كان تطبيقيا صرفا مع ذكر بعض المفاهيم النظرية البسيطة. وقد تابع الباحث تنظير الباحثين وتطبيقهم اعتمادا على كتاب جوزيف كورتيس مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، الذي شرح نظرية غريماس بالتفصيل، لذلك كان هو معيار الباحث في تحديد مدى قرب أو بعد الباحثين في الاشتغال على منهج غريماس في مستوى التنظير والتطبيق.

ولم يكتف الباحث بنقد التطبيق فقط، بل افترض التطبيق الأفضل من وجهة نظره وفقا لقواعد النظرية، كما وجد الباحث إن بعض الباحثين كانوا ينظرون بشكل جيد لكن في تطبيق النظرية وجد الباحث إنهم يبتعدون عن الدقة في ذلك، وأحيانا يخرجون من النص للاستعانة بالتاريخ وعلم الاجتماع ناسين مبدأ المحايثة الذين يؤكدون عليه في التنظير، وبعضهم كان يطبق أفضل من اهتمامه بالنظرية.

كانت الكتب والدراسات التي تناولها الباحث تعد أُسسا مهمة في دراسة نظرية غريماس، وهي نماذج من الدراسات العراقية لهذا المنهج، ولم يزعم الباحث إن الإخفاقات التي وقع بها الباحثون إنها معممة على الدراسات العراقية كما لا تقلل من أهمية بحوثهم، لأن لكل بحث إشكاليات بصورة عامة.

الكلمات المفتاحية: نظرية غريماس، تطبيقات، الانموذج العاملي، السيميائية السردية، البنية السطحية، منهج غريماس، دراسات عراقية.

Abstract

The current paper deals with Greimas' theory in the semiology of narrative and how the Iraqi critics and researchers use it as a theory and application. The paper starts with linguistic, semantic, and structural background of the theory, in addition to illustration of all the other theories that Greimas made use of them until reaching the final version of his methodology after two decades. The researcher selects group of important books and post-graduation studies used this theory and applied it on different narrations like: Semoitic direction in, semiotic of dreams narration in storytelling to Dr. Ahmed Abbas Kamil, and, a research of telling art in the book of kindness measures to Dr. Ishraq Sami Abdul Nabi, and a study of narrative structure of Al Harrafish Epic according to semiotic consideration by Dr. Gassan Najim Abdullah. The paper based on Joseph Cortes book (introduction to discourse and Narrative Semiology) in analyzing the mentioned studies. Cortes explained the theory thoroughly, that is why his book can be regarded as the base to depend on in understanding and analyzing any theory or application related to Greimasean methodology

In addition to criticism, the researcher suggests a better application depending on the bases of the theory. Some researchers were good in the theoretical part but they faced problem in application sides by depending on certain aspects related to History or Sociology. While some researchers failed to present good explanation to the theory which was ambiguous by itself.

All the books used by the researcher regarded as important sources and base for the Iraqi studies which deal with Greimas theory. In spite of these facts the researcher did not generalize these problems to all Iraqi studies nor trying to minimize the importance and participation of these study, but still every study must have its weaknesses and negative aspects.

Key words: Grimes Theory, Applications, Actant Model, Narrative Semiology, surface structure, Grimes's approach, Iraqi Studies.

المقدمة

من المعروف أن ليس من السهولة تقييم وتحديد أُسس ونتائج مشروع معرفي خضع لسنوات طويلة للدراسة والبحث والتحليل وأحيانا الإضافة، ونظرية غريماس حول سيمياء النص السردي من أبرز هذه المشاريع التي واجه دارسوها صعوبة ومعاناة في فهمها في جميع أنحاء العالم، مما أدى إلى تأخر ترجمتها إلى اللغات الأُخرى، والصعوبة والتعقيد الذي طرحه غريماس عانى منه حتى بعض تلامذته من مدرسة باريس، وأغلب الباحثين الغربيين لم يتعرضوا لهذه النظرية إلاّ وذكروا بأنها معقدة وصعبة لدرجة أن بعضهم –بسبب الخلط – يؤكد أن نظرية غريماس قد تكون متناقضة، وهذا يعني أن فهم الفرنسية لا يقطع بفهم هذه النظرية، لذلك أردنا أن نحدد الأُطر العامة لنظرية غريماس، ومنابعها الأساسية، وماهي المؤثرات التي أسهمت ببنائها وليس بصورة عامة، بل نحاول أن نصل إلى جزئيات التأثير، إذ من اليسير أن نقول مثلا إن غريماس تأثر بلفي شتراوس أو منهج سوريو في المسرح أو سيميائية ديسوسير إلخ، غير أننا نريد أن نقف على تفاصيل هذا التأثر، لأن أهمية غريماس تكمن في جودة وفهم ودقة توظيف ما اطلع عليه من علوم لسانية ودلالية وبنيوية وكذلك فلسفية ليصل إلى سيمياء السرد، ونحاول أن نقف أيضا على إخفاقات بعض المنظرين العرب وأحيانا غير العرب في وضع حدود لهذه النظرية وتجاهل بعضهم لأشياء مهمة، أو عدم دقة بعض الباحثين في بعض التفاصيل، لذلك إن من المنصف أن نحدد تفاصيل هذه النظرية قبل الدخول في إجراءات النقد بخصوص النقود والتطبيقات العراقية لهذه النظرية كي تكون أحكامنا مقبولة نسبيا فيما بعد.

تناولنا في هذا البحث منهج غريماس على مستوى التنظير والتطبيق عند بعض الدارسين في العراق ولاسيما الدراسات الجامعية، وقد أخذنا ثلاث رسائل جامعية لتكون إنموذجا لذلك، وقد سبقنا ذلك بتوضيح عام لمنهج غريماس، وذكرنا خلال ذلك بعض الأُسس المعرفية والشكلية والنقدية للنظرية، وقد اعتمدنا على كتاب جوزيف كورتيس: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، كي يكون فيصلا في النظرية خلال مقارنتنا، لأنه هو الذي شرح نظرية غريماس بدقة، وقد قدم غريماس لهذا الكتاب ولاسيما أن كورتيس يعد عضوا مهما في مدرسة باريس ومقربا من غريماس مباشرة، وكذلك اعتمدنا على الباحث سعيد بنكراد والباحث رشيد بن مالك وكتاب غريماس (في المعنى) وهو مجموعة مقالات مختارة ولايشمل كل كتابه في المعنى ١ وفي المعنى ٢ الذي أحاط بهم جوزيف كورتيس في شرحه، كما أننا حين تطرقنا للتطبيق نقدنا بعض الإجراءات مع افتراض التطبيق الأقرب والأفضل للنظرية، ولم نكتفِ بالنقد فقط، هذا ونرجو أن يكون هذا البحث مفيدا وذا قيمة لدى الدارسين والمهتمين.

مفهوم منهج غريماس وأُصوله المعرفية:

حين فصل بروب بين الشكل والمضمون، على أساس أن أهمية الشكل تكمن في قابليته على الإدراك وأما المضمون فهو عنصر زائد لا يمثل قيمة تمييزية، من خلال ذلك بدأ نقد شتراوس لمنهج بروب[١]،على اعتبار أن الشكل والمضمون من طبيعة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، وأن مشروع بروب يدعونا إلى أن تكون كل الحكايات حكاية واحدة على أساس إن الشكل المورفولوجي هو المهم وإن المضمون زائد، ويقول شتراوس ناقدا ذلك " قبل مجيء الشكلانيين لم

نكن نعرف بدون شك ما يجمع بين الحكايات أما بعدهم فلم نعد نعرف أين يكمن الاختلاف" [٢]، ويؤكد شتراوس على دحض نظرية بروب بتطبيقاته على حكايات من أمريكا اللاتينية وحكايات الهنود في أمريكا الشمالية التي تسند أفعالا إلى حيوانات مختلفة، وهذه الحيوانات هي جزء من ثقافة هذه الشعوب، وترى إن البوم والغراب والنسر –مثلا– تقوم بأدوار لا يمكن أن نعدها شخصيات دائمة التحول، و يمكن أن يتم استبدالها الأدوار فيما بينها وأن وظائفها ثابتة كما ذكر بروب ذلك[٣]، فلو استبدلت فيما بينها هذه الوظائف يختل المعنى، لأن الشخصية في الحكاية – برأي شتراوس– تشبه الكلمة التي تمر علينا وليس لها معنى في القاموس أي هي عنصر نهائي من الناحية البنيوية.

ويؤكد الناقد سعيد بنكراد إن غريماس حاول استيعاب هذا النموذج (نموذج بروب) ضمن تصور نظري جديد للحكاية يمنح عناصره من مشارب بالغة الغنى والتنوع؛ ولهذا السبب لا يمكن فهم الانتقادات التي وجهها كريماس لتحليلات بروب إلا ضمن المشروع الذي كان يحاول بناء عناصره...."[٤]، لأن نظرية غريماس متنوعة الأُسس المعرفية من اللسانيات والنحو والبنيوية والسرد ونظريات جومسكي وياكوبسن وفلسفة بيرس ونظرية دوسوسير ومن بعده يلمسليف الدانيماركي وتينير الفرنسي ومنهج سوريو الفرنسي في المسرح، كل ذلك أفاد منه غريماس لرسم ما في ذهنه من نظرية سيمياء عامة للسرد لها علاقة – في جزء منها – بتطوير منهج بروب وانتقاله من الوظيفة إلى العامل فيما يخص البنية السطحية.

وإن غريماس يرى إن مفهوم الوظيفة عند بروب لا يخلو من خلل، لأن التعريف لدى بروب يعتمد على وجود فعل معين يحدد شخصية معينة وينتمي

إلى دوائر الفعل التي حددها بروب، وإذا كان الفعل هو في الأصل تعريف الوظيفة فإن الدارس قد يكون محتارا إزاء رحيل البطل – مثلا – الذي يعد فعلا أو وظيفة، وكذلك النقص الذي هو يحتاج فعلا وهو حالة معينة وليست وظيفة[٥]، وإذا كانت هذه الوظائف هي تعميم لدلالة الحكايات وتلخيص لمقاطع الحكاية فكان الأفضل الحديث عن (الملفوظ السردي) الذي يأخذ الصيغة الآتية --- م س = و (ع١ ع٢ ع٣)، أي الملفوظ السردي يساوي الوظيفة (العامل الأول العامل الثاني العامل الثالث)[٦]، الذي ذكره كورتيس في ملفوظ الحالة والبرنامج السردي[٧] .

كما إن غريماس ينظر إلى الحكاية بوصفها بنية تحتوي على عناصر ظاهرة ومستترة لا تتجاور بفعل التجاور النصي، ولكن تتجاور بتباعدها عن بعضها البعض، لأن الملفوظ يستدعي أن يذكر نقيضه الذي سبق طرحه[٨]، أي أن رحيل البطل مثلا – يستدعي حضور وعودة البطل، وإن الانتقادات هذه لا تقلل من أهمية بروب تاريخيا ويظل مشروعه قمة في تاريخ السيميائيات السردية ومرجعا أساسيا للسرد الحديث.

أما إذا أردنا أن نذكر(التنظيم العميق) أو البنية العميقة بصورة سريعة وعلاقتها بالبنية السطحية " إن هذا المسار المعقد يقود من المحايثة إلى التجلي عبر ثلاث محطات رئيسة:

١- هناك بنيات عميقة وهي بنيات تتحدد داخلها الكينونة الإنسانية بتنوع إشكال حضورها الجماعي والفردي، وهو ما يشير إلى ضرورة تحديد الشروط الموضوعية الخاصة بالموضوعات السيميائية"[٩].

٢- البنيات السطحية وتشكل نحوا سيميائيا، مجموعة من القوانين تقوم بتنظيم البنية القابلة للتجلي في أشكال خطابية خاصة.

٣- بنيات خاصة بالتجلي وتقوم بإنتاج وتنظيم الدوال والأمر يتعلق في هذه الحالة بالوجه اللساني للقيم(١٠).

إن هذه النقاط يمكن أن ننظر لها من زاويتين الأُولى تعود إلى سن المضامين المرتبطة بالنشاط الإنساني (اللسانية والاجتماعية والثقافية)، والثانية تعود إلى عملية حصول ما تم تثبيته عبر الممارسة المتكررة لنفس السلوك من خلال أشكال خطابية خاصة(١١).

وإن الزاوية الأُولى وعلاقتها بالسلوك الإنساني الذي يعده مجموعة من الممارسات الدالة ويتم من خلاله بلورة نموذج عام وكوني، لأن هذا المستوى يشتغل كشكل سابق عن إي تجلٍ لساني أو غير لساني (لأنه قابل للظهور من خلال مواد تعبيرية مختلفة).

وكي نكون أكثر دقة إن الكلام عن كينونة الإنسان في تفكيره والحضور الجماعي والفردي وربط ذلك بموضوعات السيميائية يجعلنا نخرج من النص بوصفه كيانا مستقلا من الناحية المنهجية – كما يذكر ذلك غريماس – (١٢)، ويدخلنا في نظريات علم الاجتماع وعلم النفس، ولعل الخروج من سطوة هذه النظريات هي من أولويات نظرية سيمياء السرد(١٣)، لأن هدف المشروع الغريماسي هو تخطي اللغات الطبيعية المحسوسة(١٤)، كما أن " هذا المستوى يشتغل كشكل سابق عن أي تجلٍ لساني أو غير لساني (لأنه قابل للظهور من خلال مواد تعبيرية مختلفة)"(١٥)، وهذا الكلام بدأ غريماس به في كتابه في المعنى وقدمه بطريقة واضحة(١٦)، ومعناه أن السرد أو الحكاية هي موجودة قبل

أن تظهر بأي شكل لساني (مكتوبة مثلا أو مقروءة)، أو غير لساني كأن تكون حكاية صورية أو فلما، لأن إمكانية انتقال معنى القصة من شكل إلى آخر أو من لغة إلى لغة أُخرى تؤكد أنها سابقة على التجلي الذي ظهرت به، لأن معناها ثابت غير متغير والمتغير هو شكلها اللساني أو غير اللساني.

ينطلق غريماس- بالتأثر بهلمسليف الذي طرح المفاهيم اللغوية في شكل المنطق الرياضي واستعمال علامات الجبر والرياضيات في توضيح معنى السيميائية بصورة عامة[١٧]- من أن الحكاية يكون لها تعبير ومحتوى وأن التعبير له شكل ومضمون وكذلك المحتوى على النحو الآتي[١٨] :

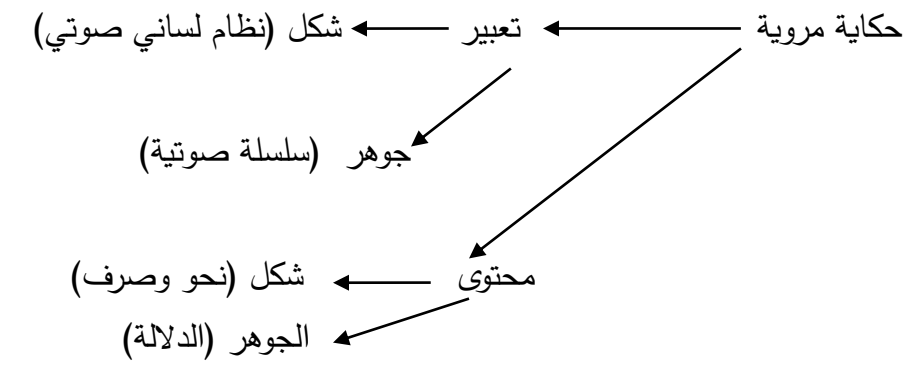

وأن التحليل السيميائي لمنهج غريماس في السرد كله يجري في المحتوى وإن شكل المحتوى يتضمن مستوى صرفيا ومستوى نحويا (تركيبيا)، وهذا الأخير هو الذي ينقسم إلى تنظيم أساسي عميق وتنظيم سطحي[١٩].

أما مكيفات فعل السرد المرتبطة بـ (الخطاطة السردية) فهي (المحرك والكفاءة والإنجاز والتقييم) وتمييز موضوع الجهة عن موضوع القيمة في البرنامج

السردي[٢٠]، وأن هناك أفعالا تعطي معاني موضوع القيمة في ظل الخطاطة السردية كما في المخطط الآتي:

أُريد أستطيع يجب	أن أُوفر لك طريقة	تربح بها أكثر
موضوع الجهة ----------	---برنامج سردي -------	---موضوع القيمة

إن الكفاءة يمكن أن تكون تنظيما متدرج الجهات أي أن أُوفر، و أُريد، و أستطيع، و يجب موضوعات جهات مختلفة في نسبة الكفاءة للإنجاز[٢١].

وهذا يوضح لنا ملفوظات الحالة وتحولات الفعل من خلال الاتصال والانفصال عن موضوع القيمة الذي ترغب به الذات الفاعلة، وملفوظ الحالة معناه توضيح حالة اتصال أو انفصال الذات عن موضوعه بغض النظر عن بقية العوامل وهو جزء من الأنموذج العاملي[٢٢] وقد يكون الذات متصلا ثم ينفصل وهذا يوضحه فعل التحويل في البرنامج السردي (حكاية عامة أو حكاية فرعية داخل السرد).

ولعل أهم ما اشتغل عليه الباحثون هو الأنموذج العاملي الذي تكون عناصره ومحاوره هي:

العامل الذات والموضوع والمساعد والمعارض والمرسل والمرسل إليه، والمحاور والعلاقات التي تستند إليها هذه العوامل علاقة الرغبة والصراع والاتصال[٢٣].

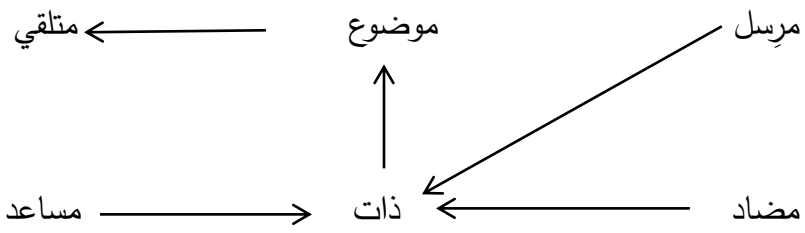

وأن الفاعل يكتسب القدرة والكفاءة من خلال المهمة التأهيلية التي تميزها عن المهمة الأساسية :

موضوع ---------- مرسل إليه

|

مهمة أساسية

|

المرسل ---مهمة تأهيلية ------- فاعل (ذات)

/ \

مساعد معارض

إذ "يكتسب الفاعل خلال المهمة التأهيلية الكفاءة وطاقة الإنجاز التي تمكنه من المهمة الأساسية في تطويق دائرة الصراع وتحقيق الموضوع وتعويض الافتقار ---"[٢٤]

وأحيانا لا يوجد في السرد مهمة تأهيلية بل أحيانا يلجأ الفاعل (الذات) إلى فعل شيء لبلوغ تبني المهمة الأساسية، وغالبا ما يكون ذلك بمساعدة (العامل المساعد) الذي يدعم طاقته للإنجاز ولاسيما أن العامل المساعد – أو العامل بصورة عامة– قد يكون إي شيء (جماد، شخصية، فكرة مجردة، أي شيء)، فهذا يدخل في ضمن العامل المساعد وليس بضرورة وجود المهمة التأهيلية لبلوغ المهمة الأساسية فذلك يزيد من تعقيد الأنموذج العامل.

ولعل هذا مختصر سريع لمنهج غريماس الذي يبدأ من البنية العميقة والبينة السطحية الذي كان كله في المحتوى كما وضحنا وكذلك مفهوم الأنموذج العاملي وعناصره وملفوظ الحالة ومكيفات فعل السرد ومهام الذات الفاعلة التي يكلف بها للحصول على الموضوع الذي يرغب به.

فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية للدكتورة إشراق سامي عبد النبي

لا نبالغ إذا قلنا أن هذه الدراسة هي من أفضل الدراسات العراقية التي اطلعنا عليها في تطبيق منهج غريماس العاملي، ولا سيما في تقسيمات العوامل في حكايات كتاب (لطف التدبير) للخطيب الإسكافي.

أفردت الباحثة الفصل الثاني من دراستها للفواعل في كتابها المذكور وتعني العوامل وهي تذكر مصطلح الفواعل، والفاعل لكل العوامل في المنهج ولو اقتصرت على استخدام مصطلح الفاعل للذات العاملة لكان أفضل بكثير من تعميمها للمصطلح لكل العوامل، وقد وجدنا هذا عند الكثير من الدارسين بأن يجعل الفاعل رديفاً تاماً للعامل وهذا غير دقيق لأن أصل النظرية – كما ذكرنا

– هو نحوي قد يحدث لبساً ولا تعطي نفس النتائج الدلالية، فعندما نقول مثلاً (أكل الولد التفاحة) فإن الولد هو عامل ذات والتفاحة عامل موضوع وهذا أفضل من أن نقول الولد فاعل ذات والتفاحة فاعل موضوع.

نظرت الباحثة تنظيراً خجولاً اعتماداً على كتاب مستويات دراسة النص الروائي لعبد العال بو طيب وبنية النص السردي لحميد لحميداني اللذين قدما منهج غريماس في ما يتعلق بالبنية السطحية في الأنموذج العاملي مبتوراً عن بنيته التحويلية، فيما يتعلق (بالسيمات وميتاسيمات والكلاسيم) وعملية تحول هذه البنية إلى بنية سطحية كما ذكر ذلك كورتيس[٢٥]، وخالفت رأي (سعيد بنكراد) في نفي التصورات التي تجعل الشخصية الحكائية مرادفة لكائن حي يمكن أن يكون في غير مكان الحكي[٢٦]، وإن كانت على صواب في ذلك من ناحية المضمون وليس من الناحية التقنية والبنائية، لذلك نجد إن المفهوم التقليدي للشخصية لم تتخلص منه أحياناً ولا سيما في تقسيمات (الفواعل) عندما تذكر (الفاعل المركزي)[٢٧]، وهو يشبه الشخصية الرئيسة في السرد الروائي والوصفي، تمسكت الباحثة بتقسيمات الفواعل وأشكالها ولم تذكر أياً منها هو مساعد أو معارض أو موضوع، وخصوصاً أنها قدمت لهذا الفصل لمنهج غريماس ولكنها آثرت تقسيماً خاصاً بها، فقد ذكرت في أشكال (الفواعل) وما تطلق عليه (الفاعل المستفيد) وهذا العامل الذي ذكرته في قصة الرسول (ﷺ): عندما جاء شخص مطارد وهناك قوم يريدون قتله فأخفاه الرسول (ﷺ) بطريقة ذكية...إلخ[٢٨]، وكذلك قصة إسحاق بن إبراهيم الطاهري مع المأمون[٢٩]، وما ذكرته من العوامل يقع في عامل الموضوع وليس عاملاً حاز على شيء فأفاد منه، لأنه هو الذي تنازع عليه عاملان الرسول عامل أراد حماية الرجل والقوم المطاردون عامل

يريدون قتل الرجل فالرجل موضوع قيمة لكل العاملين، ولو طبقت هنا ملفوظ الحالة في اتصال الذات بموضوعه وانفصاله عنه لخرجت بنتائج أفضل من ذلك، ونستطيع أن نقول طبقته بطريقتها مع اجتهاد معين بعيداً عن الكتابة الرمزية لفعل التحويل السردي فممكن أن يكون الملفوظ السردي كالآتي:

القوم المطاردون عامل ذات(١) الشخص المطارد موضوع (م)

والرسول (ﷺ) عامل ذات(٢)، فيكون الملفوظ السردي في حالة الحكي هذه:

ف ت: { ع١ ∩ م U ع٢} { ع٢ ∩ م U ع١}

ويمكن أيضاً ان نقول إن الرجل الذي ظهر في الحكي هو الذات العاملة التي استعانت بالعامل المساعد الرسول (ﷺ) في تحقيق موضوعه وهو الخلاص من القتلة، لذا فإن الباحثة أقحمت النصوص الحكائية الواردة في تقسيماتها بعد أن بحثت عن حكايات مناسبة لهذه التقسيمات التي تمت بصلة ضعيفة إلى منهج غريماس في العوامل، ولو اختزلت تقسيمات العوامل لديها بحسب عوامل غريماس من حيث ذات وموضوع ومساعد ومعارض ومرسل ومرسل إليه، بدلاً من كم تقسيمات العوامل التي ذكرتها ما بين الأنواع والأشكال وكل منهما يتفرع وينقسم على أقسام لكان ذلك أفضل وأدق في تطبيق الأنموذج العاملي، سواء أكان من حيث المحاور الثلاثة (الرغبة والصراع والاتصال) أومن حيث توضيح ملفوظ الحالة ونزاع ذاتين على موضوع واحد التي ذكرته في الفاعل المقابل والفاعل المقابل المبتدئ[٣٠] بدون ذكر الموضوع وهو محل النزاع، لذلك نجد تحليلها ناقصاً لأنه يركز فقط على توصيف (الفاعل المركزي) و (الفاعل المقابل)، كما نجد في قصة ملك الروم الذي أراد قومه خلعه من عرشه بسبب كبره...إلخ فلم تذكر موضوعاً لاكتمال النزاع بين الفاعلين الملك وشعبه ولم تذكر

أي عوامل مساعدة يستخدمها أي من الفاعلين لتحقيق موضوعه، لأنها انشغلت فقط في توصيف الفاعل المقابل والفاعل المركزي[٣١]، إن الأول ممكن أن يكون عددا من الناس أو فرداً على وفق شكل الفاعل، وتطبيق كهذا لا يمكن أن نقدم له منهج غريماس لأن ذلك لا يعني أننا اتبعنا منهج غريماس بل قسمنا العوامل بحسب أشكالها منفصلة عن السرد، لأنها في السرد تكون متصارعة من أجل موضوع ولها عوامل مساعدة وأُخرى معارضة، فتقديم كل منهما بمعزل عن سياقه السردي لا يمثل تطبيقاً للأنموذج العاملي، لنأخذ أنموذجاً من التحليل لديها في ما أطلقت عليه الفاعل المقابل في خبر العرب والروم ((وللخبر هنا طرفان أيضاً هما (العرب) و (الروم) وقد احتاج أحد هذين الطرفين إلى طلب النصح والاستشارة أي أنه في موضع المشكلة أو المأزق الذي يحتاج معه إلى تدبير وحكمة.

أما الطرف الآخر فهو السبب في توجيه المشكلة وهو الفاعل المقابل، وبما أنه الفاعل البادئ في عملية الانتقال في السرد من توازن إلى نقص؛ فهو إذن فاعل مقابل مبتدئ، وهنا عدو أو غريم في الحرب تمثل (بالعرب) الذين حققت جيشوهم انتصارات على (الروم) وأخذوا يجتاحون مدنهم الواحدة تلو الأُخرى الأمر الذي جعل الروم في حيرة وقلق من هذا الخطر...))[٣٢].

هذا التحليل لا يعد تحليلاً على وفق منهج العوامل الغريماسي هو تحديد لفاعلين في السرد وشكلهما يكون بحسب الوظيفة، ولا يخلو هذا الكلام من تحليل وإنشاء تأريخي، ولو تمسكت بالمنهج لوجدت هناك موضوعاً مشتركاً بين العاملين وهناك وسائل مساعدة يمكن أن يفيد منها أحد العاملين في تحقيق موضوعه وتندرج ضمن العامل المساعد وقد يكون نفسه معارضاً للعامل المقابل،

فما كان مساعداً مثلاً للعرب جيوشهم الكثيرة ومرض ملك الروم يكون نفسه عاملاً معيقاً معارضاً لعامل الروم، كما أن هذه العوامل هي عوامل جماعية وهي تذكر إن العامل يمكن أن يلجأ إلى (حيلة) في الخروج من مأزقه وتسميها ((وظيفة الحيلة))[٣٣] ((..الذي يتولى صنع الحيلة))[٣٤] ((..ويعتمد هذا الشخص دائماً على أُسلوب غير مباشر اتفقنا على تسميته الحيلة))[٣٥]، وهي متمسكة بوظيفة الحيلة التي يجب أن تجعل لها مكاناً في عوامل غريماس وهي (العامل المساعد)، أحياناً تسميها وظيفة وأحياناً أُسلوبا غير مباشر وهو عامل له تأثير في تحقيق العامل بموضوعه، فكان الأجدر بالباحثة أن توظف تشابه هذه العوامل المساعدة مع تشابه عوامل الذات وعلاقة ذلك بالموضوع، وكذلك تفعيل ملفوظ الحالة بدلاً عن العامل المقابل والعامل المقابل المبتدئ كما سمتها الباحثة، ولعل سبب ذلك هو التمسك بمفهوم الوظيفة أكثر من العامل كما أسس لذلك (بروب) التي ذكرته في بداية دراستها وطبقت منهجه، فما عدله غريماس على نظرية بروب هو اختزال الوظائف من خلال عوامل ترتبط بمحاور معينة كما هو معروف، فما فعلته الباحثة ذكرت الوظائف مرة أُخرى ولكن بذكر من قام بهذه الوظائف (الفواعل) كما سمتها لذلك اختفى من تطبيقها ما يسمى بعامل الموضوع والمساعد والمعارض، أو ذكرته بطريقتها بعيداً عن منهج غريماس في العوامل.

حتى وإن ذكرت عنواناً (الفاعل المساعد)[٣٦] فهو عندها شخصية تشبه الشخصية الإنسانية، هكذا تؤمن بأن يكون العامل لأنها لم تذكر أي عوامل مساعدة غير الشخصية التي تشبه الشخصية التاريخية الإنسانية على الرغم من أنها ذكرت الحيلة والتدبر والحكمة ولكنها لم تشر إلى أنها عوامل مساعدة.

لذا أننا نلاحظ إن الباحثة لم تتخلص من تأثير وظائف بروب في دراسة منهج غريماس، كما أنها لم تتخلص من مفهوم الفاعل الذي يجب أن يرتبط بالشخصية التي تشبه الشخصية التاريخية والإنسانية.

وفي ذكر مكيفات الفعل من حيث المعرفة والقدرة والكفاءة والإنجاز[٣٧]، ولكننا يجب أن نقف قليلاً عند تطبيق هذه المكيفات للفعل التي أخذها (غريماس) من (جومسكي) الذي أقر مبدأ المعرفة والقدرة والإنجاز للفاعل في الجملة البسيطة مع تعديل بسيط، وما ذكره غريماس إن هذه الصفات يجب أن تكون كلها متوفرة في عامل الذات لتحقيق موضوعه المرغوب به[٣٨]، ولا تكون موزعة على أكثر من عامل كما ذكرت ذلك الباحثة في خبر الرجل المطارد الذي يلتقي بالرسول (ﷺ)، وهو خبر مكرر درسته في موضوع الفاعل المستفيد ((يتضح في القسم الأول إن الرجل الملاحق كان يخشى أن يمسك به أعداؤه لذا يتملكه إحساس بضرورة إيجاد مخرج ما من هذه المشكلة، إنه، إذن، شاعر بوجوب الفعل، وفي القسم الثاني يخبره الرسول إنه سينقذه مما يخشى، وفي وعد الرسول له إيحاء بمعرفته (ﷺ) بالفعل الذي سيقوم به بل وبقدرته أيضاً على بالفعل، ثم في القسم الثالث تمثيل لرغبة القوم بفعل الإمساك بالرجل. وأخيراً تجسيد لقدرة الرسول (ﷺ) على الفعل))[٣٩].

هذا الكلام ينم عن خلط واضح في أن مكيفات الفعل موزعة على عدة عوامل وهذا غير دقيق ((لأن هذه الكيفيات يمكن أن ترتبط بالوحدات المنفصلة التي هي العوامل: الإرادة توافق محور ذات/موضوع والمعرفة محور مرسل/مرسل إليه والقدرة محور المساعد والمعارض))[٤٠]، ولكن ((الذات يجب أولاً أن يحرز نوعاً من الكفاءة لتصبح منجزة وبحسب منطق الاقتضاءات فإن

الفعل الإنجازي للذات يستلزم مسبقاً كفاءة للفعل[٤١]، وهذا متوقف على ((التسلسل المنطقي للسرد))[٤٢]، أي أن هذه المكيفات مرتبطة بالأصل بالعوامل المرسل والذات والمساعد وكلما تنصب في النهاية للذات لتحقيق الموضوع بحسب تسلسل السرد، أي أن الذات في بداية الحكاية تكون لديه الكفاءة ثم في النهاية يكون لديه الإنجاز، والباحثة وزعت هذه المكيفات مع تحوير بسيط لا يخلو من تأويل شخصي وزعتها على (فواعل) عامة بعيداً عن المرسل والذات والمساعد وكلما بطريقة تحقيق المكيفات أي حصول القدرة وحصول الإنجاز والمعرفة، رغم أن بعض الحكايات كانت تحتاج إلى اتصال المكيفات مع عواملها بصورة سلبية أي عدم حصول القدرة والإنجاز كما يذكر ذلك كورتيس[٤٣]، بل وقد تكون مأخوذة من المرسل والمساعد لتستقر عند الذات وسنوضح ذلك بعد اقتباس الحكاية التي اختارتها الباحثة.

البنية السردية في ملحمة الحرافيش مقاربة سيميائية للدكتور غسان نجم عبد الله

قدمت دراسة الباحث قراءة في ملحمة الحرافيش على مستوى السيمياء، خصص الباحث الفصل الأول منها لمنهج غريماس وأطلق عليه (نظام غريماس) ويبدو أنه حاول بها أن يطبق نظام غريماس في ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ، وقد حدد العوامل الستة (المرسل والمرسل إليه والذات والموضوع والمساعد والمعارض) داخل مخططات في الدراسة، وانقسمت هذه العوامل لديه في قصة الحرافيش إلى أنموذجين للعوامل الغريماسية وقد قاده لذلك اختلاف العاملين الموضوعين وهما (تحقيق العدالة) و (الفتونة)، وهذه الدراسة تعد أكثر الدراسات اقترابا في تطبيق عوامل غريماس في السرد على مستوى الجامعات

العراقية ولاسيما أنها تناولت نصا مهما وهو (ملحمة الحرافيش) ومن ذلك تبرز أهميتها.

بغض النظر عن أن الباحث لم يذكر أصل العوامل عند غريماس وعلاقتها بالبنية العميقة الذي لم يتطرق له الباحث، كما لم يوضح ذلك إي باحث في الدراسات العراقية، فإن هذه الدراسة لا تخلو من إشكالات ولاسيما على مستوى التطبيق، ويبدو أن الباحث تأثر بدراسة (البنى الوظيفية في مقامات الحريري)، وهذا واضح من خلال المخططات التي يذكرها الباحث ومحاور (المعرفة والعمل) التي تؤطر عاملي المرسل والمرسل إليه من جهة والمساعد والمعارض من جهة أُخرى، وكذلك تقسيم العوامل كل عامل منفصل بذاته والخلط بين العامل الموضوع والمرسل على اعتبار إنهما محرك ودافع[٤٤]، فيقول الباحث "أن التغاير في العامل الموضوع هو نتاج لتطور الدافع واختلافه وهو بدوره يسوق الإبطال إلى غاياتهم"[٤٥]، فهو يذكر ضمن عنوان الموجّه (المرسل) أنه يكون من خلال دافعين في الحرافيش:

١- تحقيق العدالة

٢- السيطرة والسلطة

ويذكر هذه الدوافع في المخططات بوصفها موضوعات للفاعل الذات على اعتبار أنه يقسم الأنموذج العاملي على أنموذجين- وهذا سنقف عنده – في التقسيم الأول حين يكون المرسل هو (قيمة العدل) ترسل الذات لموضوع (محاربة الشر)، وفي التقسيم الثاني الرغبة بالسيطرة ترسل الذات لتحقيق موضوع (الفتونة)، وسنذكر المخططات كما ذكرها الباحث ثم نحلل بعد ذلك هذه المخططات كي يكون كلامنا واضحا[٤٦]:

١-

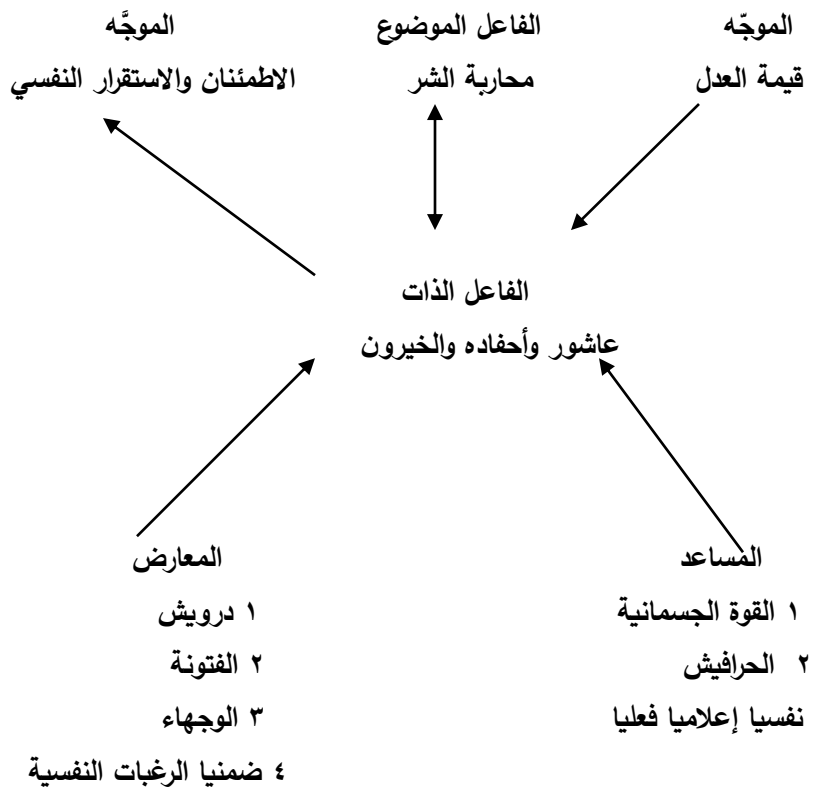
الموجّه
قيمة العدل
الفاعل الموضوع
محاربة الشر
الموجَّه
الاطمئنان والاستقرار النفسي
الفاعل الذات
عاشور وأحفاده والخيرون
المساعد
١ القوة الجسمانية
٢ الحرافيش
نفسيا إعلاميا فعليا
المعارض
١ درويش
٢ الفتونة
٣ الوجهاء
٤ ضمنيا الرغبات النفسية

٢-

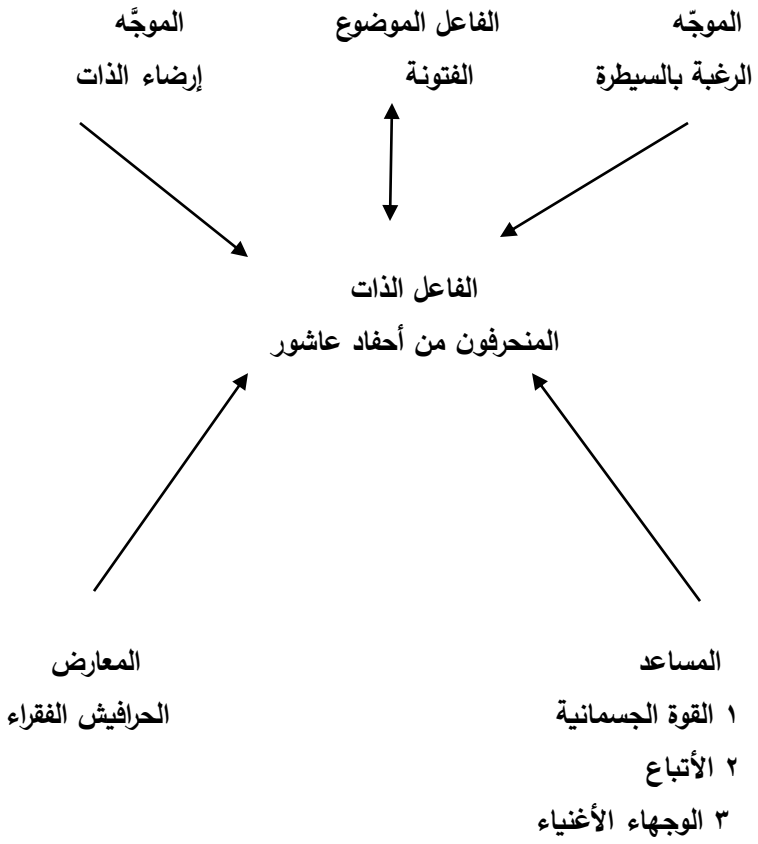

قبل الدخول بمضامين المخططين السابقين فإن الشكل الخارجي لكل مخطط يحتاج إلى دقة أكثر، لأن اتجاه الأسهم الموجودة مهم وليس اعتباطيا فهو يدل على اتجاه سير الحدث من خلال العامل المقصود وطريقة تفاعل هذه العوامل، السهم المذكور بين الذات والموضوع كان يجب أن يكون باتجاه الموضوع فقط وليس باتجاهين متبادلين، أما السهم المتجه من الموجّه (المرسل

إليه) إلى الذات غير صحيح لأن هذا السهم يجب أن يأتي من الموضوع باتجاه المرسل إليه وليس من الذات مباشرة إلى المرسل إليه، على اعتبار اتصال الذات بموضوعه أولا ثم يتجه للمرسل إليه في تحقيق الغاية ويكون اتجاهه من الموضوع إلى المرسل إليه وليس بالعكس كما ذكر في المخطط الثاني فيكون الشكل كالأتي:

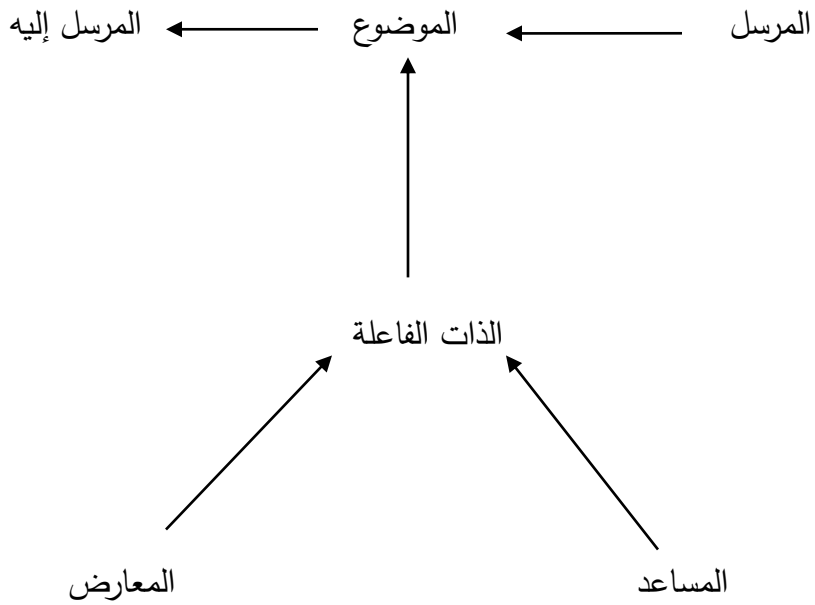

أما المضامين لهذه المخططات فإن الجدول الأول يكون عاما جدا كما يذكر في العامل الموضوع محاربة الشر، هل هذه هي الغاية النهائية؟ أم نتيجة محاربة الشر هي الموضوع المطلوب للذات؟ التي ستكون (تحقيق العدالة) وهي تساوي عند الباحث العامل المرسل، وهناك فرق بين الرغبة في تحقيق العدالة عن تحقيقها لتكون الأُولى محركاً مرسلاً وتكون الثانية عاملاً موضوعاً، فلم يكن الباحث دقيقا في ذلك، أما في المخطط الثاني فيكون الباحث أكثر تحديدا لعامل

الذات والموضوع (الحصول على الفتونة، أما المرسل إليه في الجدولين فمتشابه إذ أن إرضاء الذات يشبه تحقيق الاستقرار النفسي كما أن مصطلح (إرضاء الذات) معناه رغبة الذات الفاعلة وهو كل موضوع في الأنموذج العاملي تريد أن تحققه الذات، فكان الأجدر بالباحث أن يذكر ما هو الموضوع بالتحديد الذي ترغب به الذات العاملة، ولا أظن أن عنواني عامل المرسل إليه في الجدولين مناسبان لعامل المرسل إليه؛ لأن الأول هو العيش بسلام في ظل الخير والثاني يكون العيش تحت حكم الشر، هذا هو ما قصده الباحث تحت عنوان المرسل إليه ولم يذكره بدقة، وتحليلنا لما ذكر الباحث بصورة عامة أن الذات (عاشور) كان هو الزعيم (الفتوة) وهو الذي بسط الحكم على الناس بالخير، فالزعامة هي موضوعه الذي كان متصلا به ولتحقيقه أو استمرار البقاء فيه كان لديه مساعدون ومعارضون (درويش وأعوانه)، لذلك فإن درويش هو معارض أو هو ذات ثانية منافسة ترغب نفس الموضوع (الزعامة) وبطريقة معينه تكون لديه القدرة والكفاءة على إنجاز الفعل وتحقيق موضوعه، وهو أخذ الزعامة لتحقيق غايته المادية والسيطرة على المدينة التي يحكمها هذا النظام فيكون ملفوظ الحالة الأول عندما كانت الذات الأولى متصلة بموضوعها:

ف ١ ∩ م U ف ٢، ويدخل فعل التحويل على سيروره السرد فيكون الآتي

ف.ت {ف ١ ∩ م U ف ٢} {ف ١ U م ∩ ف ٢} ⟵

ومعنى هذه الرموز هو يكون الموضوع منفصلاً عن الفاعل الأول بعد ما كان متصلا به واتصل الفاعل الثاني بنفس الموضوع، هذا بالنسبة لملفوظ الحالة في علاقة الذات بموضوعه من حيث الاتصال والانفصال فلو ذكر الباحث ذلك

التحليل بهذه الطريقة لكان أفضل بكثير، أما بالنسبة إلى المخطط للأنموذج العاملي فيكون واحدا أيضا وعلى وفق الشكل الآتي:

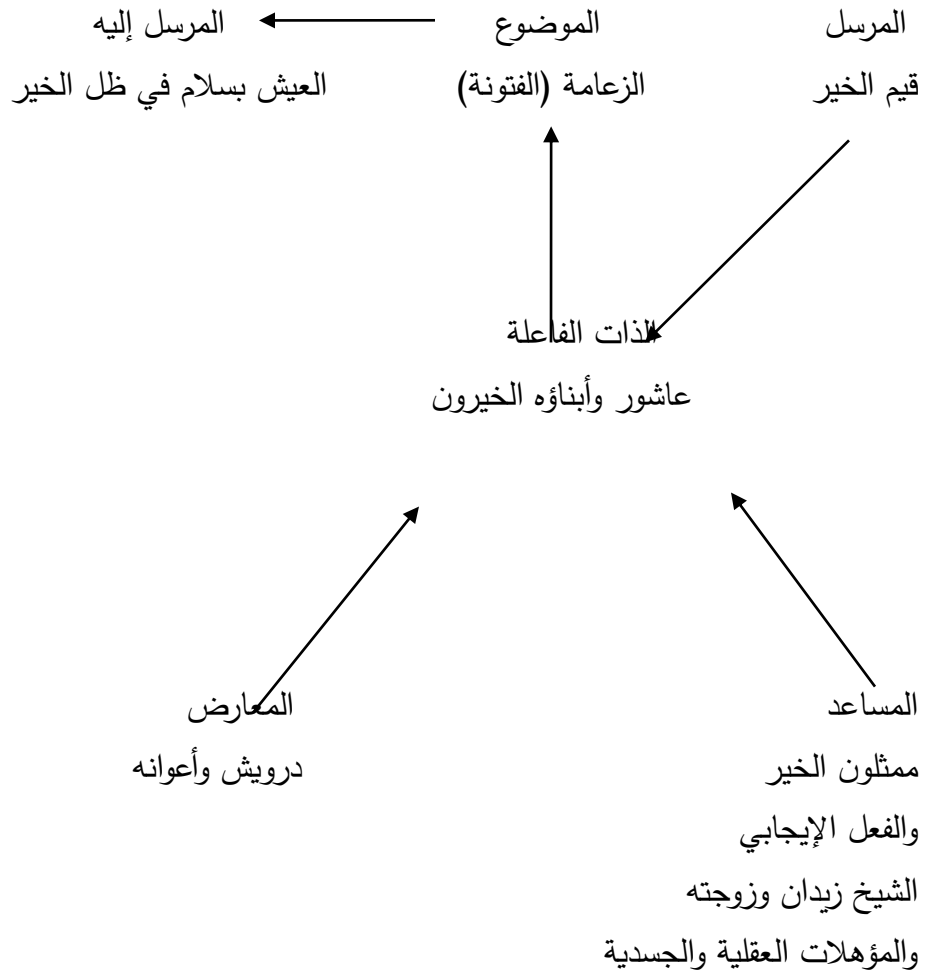

ومع ذلك فإن هذه المخططات قابلة للتغير والمرونة وهي ليست قطعية، ولكن لا يمكن أن نذكر أن الذات حققت موضوعها بدون أي تفصيل ولكن يجب أن نوضح جهات الفعل وهي المعرفة والقدرة والكفاءة والإنجاز لتحقيق الفعل، وهذا مهم جدا في الأنموذج العاملي، كما أن ذكر الحالة في اتصال وانفصال الذات والموضوع أو منافسة ذوات أُخرى على الموضوع نفسه، فهذا لا يعني أن هناك نماذج عامليه متعددة بل يمكن أن يذكر في توضيح الحالة كما ذكرنا في تحليلنا السابق في توضيح الاتصال والانفصال عن الموضوع، الذي يحصل عليه فاعل آخر أو يعود إلى الذات الأُولى بحسب وضعية السرد.

ولا يخلو تحليل الباحث من التأثر بالتاريخ أو علم النفس أو التأويل الشخصي في تحليل الرمز كما هو دأب أغلب الباحثين في العراق الذين تناولوا منهج غريماس، ونجد ذلك في تحليله لاسم (درويش)، يذكر الباحث إنه على وزن (إبليس) في بحثه عن عملية ربط شر درويش بشر إبليس وهذا خروج عن النص، وهو ما رفضه غريماس في تأكيده على أن النص مكتف ذاتي من ناحية المنهج[٤٧]، وكذلك في تحليل اسم (عاشور) ويربطه (بالعشرة) و(عبدالله) هو الذي يطبق تعليمات السماء، يقول الباحث "فاسم عاشور عبدالله يوحي لنا من الوهلة الأُولى أنه اسم مركب ربما أُريد من عاشور (عشرة) العدل بين الناس وعبدالله هو المكلف بتحقيق العدالة فما أقرب عبد الله من الخضوع لمبادئ السماء وطبعا من أهمها العدالة"[٤٨]، هذا التحليل هو تأويل شخصي قائما على الانطباع ويعتمد على التاريخ ولا شأن له بسيمياء السرد لدى غريماس، وكذلك في تأويله بخصوص درويش و(فلة) لإغراء أبناء عاشور يقول " فالخير اتجاه يمثله عاشور والشر اتجاه يمثله درويش الذي يحاول أن يدفع بالأُنثى رمز الدنيا

(فلة) لإغراء وإغواء أبناء الإنسان الأول، لتعود مأساة الصراع بين بني البشر"[٤٩]، هذا التحليل والتأويل ينفع لمنهج آخر غير سيمياء السرد ولكنه هنا في ظل عوامل غريماس غير ممكن فما علاقة هذا بعوامل غريماس؟ وهذا التحليل يذكرنا بتحليل البنى الوظائفية في مقامات الحريري عندما يذكر الباحث ابنة السروجي ويفسر على أنها رمز الأُمة المعطاء التي يسيطر عليها الصليبيون كما ذكرنا ذلك سابقا، فهذا وذاك بعيدان عن الإجراء السيميائي، وكان الأفضل للباحث لو وظف ذلك في تحليل ملفوظات الحالة من حيث الاتصال والانفصال بين الذات والموضوع، لتكون (فلة) مثلا موضوعا يتصل بها الفاعل الأول وينفصل عنها ليتصل بها الفاعل الثاني وكل بحسب إمكانية تحقيق فعله في الحصول عليها، فعندما تكون فلة لدى درويش يكون درويش الفاعل الذات متصلة(∩) بالموضوع فلة ثم يتزوج عاشور فلة حلا للنزاع وللحد من المشاكل يكون عاشور الفاعل الذات الثاني ∩ موضوعه فلة، فيكون الملفوظ السردي من خلال فعل التحويل كالآتي: ف.ت {ف ١ ∩ م U ف ٢} {ف ١ U م ∩ ف ٢}

ليكون معنى هذه الرموز أن فعل التحويل في ملفوظ هذه الحالة الفاعل الأول متحد بالموضوع (فلة) وهذا الموضوع منفصل عن الفاعل الثاني (عاشور) وهذه هي حالة الملفوظ السردي قبل أن يتزوج عاشور بفلة وحلا للنزاع تحول الملفوظ السردي إلى أن الفاعل الأول (درويش) انفصل عن موضوعه (فلة) واتحد الفاعل الثاني بموضوعه، ولو اغتنم الباحث أكثر من حدث فرعي لهذه الحالات وأدمجها مع المسار الرئيس في البرنامج السردي الرئيس لخرج بنتائج طيبة جدا.

ولا نعلم لماذا يؤكد بعضهم أن التحليل السيميائي للسرد مرتبط بفك الرموز والتأويل من خلال الاستعانة بالتاريخ وعلم الاجتماع ويبتعد عن أُسس النظرية فيكون التحليل مزيجا من مناهج متعددة وغير واضحة ولا يخلو من التخبط، فنرى الباحث يشرح القصة ويحلل بطريقة عامة وصفية ويصف قصة (قرة عيني) من خلال شذوذ جلال وتنصل رمانة من الزواج بعزيزة وأن (قرة) هو الوحيد الباقي على نهج الخير الذي يتزوج من عزيزة ويختفي قبل أن تنجب[٥٠]، كأنه يعيد سرد القصة، ولا يدخل هذا السرد في نظام العوامل ولا يحدد أياً منها ليكون الذات وما هو الموضوع، ثم ينتبه الباحث فيحاول أن يعيد ذكر العوامل ومنهجه الذي نساه فيستطرد ليقول "ويستمر عامل الفتونة بالهيمنة معربدا بين الحرافيش كما يستمر الانزياح في العامل الموضوع لتأتي ستراتيجية جديدة تضع للفتونة معيارا جديدا"[٥١]، لا يوجد هكذا في التحليل السيميائي في عوامل غريماس (أن الموضوع يعربد)! الموضوع هو المرغوب به دائما ثم أن هذا التعبير عام جدا لا يوجد تحديد لفعل العربدة، كان الأحرى به أن حدد ذلك على وفق منظور سيميائي بحسب نظام غريماس الذي اقترحه الباحث من قبل، لذلك نجد أن قصة (قرة عيني) تخلو من أي تحليل عاملي لأنموذج غريماس وكل ما ذكره هو وصف وتحليل.

وفي قصة (الحب والقضبان) يعود الباحث إلى نظام غريماس ويلمس بعض التحولات في فعل الحالة التي يسميها انزياحا ويعني بذلك حالة تحويل الفعل السردي كما تظهر في الذات سليمان شمس الدين حفيد الناجي الذي ينحرف عن خط إبائه، فيوضح الباحث هنا تحول الفعل وهذه التفاتة جيدة من الباحث في رصد تحولات فعل السرد وهي تحسب له ويوضح ذلك بهذا المخطط

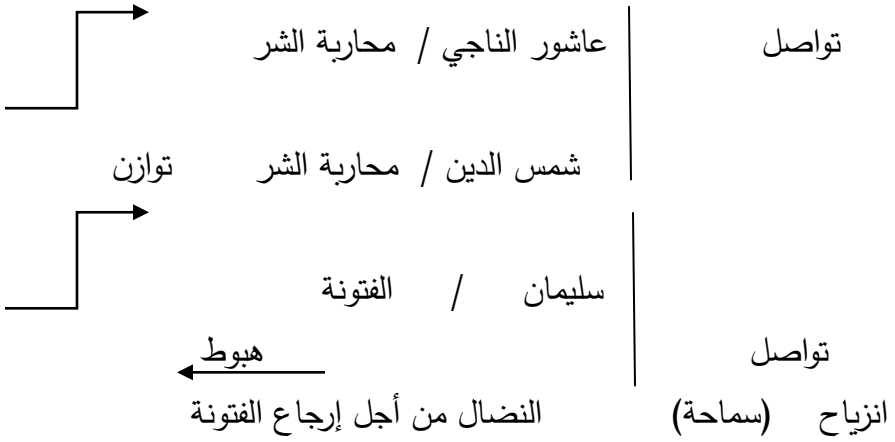

نجد أن تفاصيل المخطط غير واضحة ولعل الباحث يعني به أن الذات عاشور ومن بعده شمس الدين بقيا في الموضوع نفسه، أو أنهما يرغبان الموضوع نفسه وهو محاربة الشر وسليمان حصل على الفتونة بطريقه مختلفة وانحرف عن هذا الاتجاه فهو هبوط عن الحالة المتوازنة، لأن الموضوع الذي يرغب به هو الفتونة وهو انزياح أيضا عن سابقيه وكذلك الذات (سماحه) الذي يريد موضوعا (إرجاع خط أجداده) فهو تحول أيضا لفعل السرد الذي يسميه الباحث (انزياح)، هكذا أراد الباحث أن يوصل مافي هذا المخطط وأظن أنه وفق في ذلك نسبيا لأن هذا التحليل هو الأقرب (من بين شرحه الطويل) إلى سيمياء السرد والأنموذج العاملي وملفوظ الحالة في فعل السرد، وكما ذكرنا سابقا أن سيمياء السرد عند غريماس تؤكد على انتمائها إلى السيمياء العامة دائما[٥٢]، لذلك نجد أن كورتيس (الشارح والمساهم في عمل غريماس) يبعد القصدية عن سيمياء السرد؛ لأنها تدخل في سيمياء التواصل التي تبعد النص عن المحايثة

وتستعين بما هو خارج النص، ثم أن الرسائل في أي مكان ليست قصديه دائما بمعنى أن الاتصال ليس الهم الأول لسيمياء السرد بصورة عامة، لذلك يقول كورتيس "أن حصر الحقل السيميائي بالتواصل كما يفعل العض يعود عادة إلى مصادرة على نية للتواصل يصعب دوما تحديد وضعها: في أي مستوى توضع النية (بالفعل نفساني، علم اجتماعي ...)...."[٥٣] ، لذلك فإن "مشكل المعنى الذي تريد السيميائية الاهتمام به يتجاوز كثير مشكل الاتصال"[٥٤]، فلا يمكن للباحث أن يؤكد قضية القصدية في تسمية القصة الأُولى بـ (عاشور الناجي) والثانية ب (شمس الدين)[٥٥] ، أي باسم أبطال القصة، وحتى لو كانت القصدية موجودة افتراضا لكنها ليست من شأن سيمياء السرد كما وضح غريماس وكورتيس لنا مفهوم السيمياء، وهذا المفهوم يخضع لنظام عند غريماس وهذا النظام ثابت لا يمكن أن يتعامل مع ما هو قصدي وما هو غير قصدي فضلا عن أن القصدية تحيلنا إلى خارج النص والدخول في قضبان علم النفس والاجتماع، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الدراسة لا تخلو من أهمية في وقت كان بعضهم لم يسمع بنظرية غريماس وكانت هذه الدراسة موجودة ورافدة للباحثين.

سيمياء سرد المنامات في الموروث الحكائي للدكتور أحمد عباس كامل

تعد هذه الدراسة مهمة لأنها تصب فيما بين التأويل والسيمياء في معالجة سردية المنامات الموروثة على الرغم من أن الباحث بدأ بذكر منهج غريماس في دراسته في القسم الثاني من بحثه.

في بداية عنوان الفصل الأول من القسم الثاني في البحث وهو (المستوى الوظيفي وسردية المنام) وهنا يبدأ أول إشكال في هذه الدراسة فيما يتعلق بمنهج غريماس؛ لأن هذا العنوان يحيل إلى دراسة بروب في مورفولوجيا الحكاية الخرافية، وهو يريد أن يطبق في هذا الفصل عوامل غريماس بغض النظر عن المقدمة التي قدم لها في القسم الثاني المتعلقة بمنهج بروب الوظائفي.

يبدأ الباحث في التنظير لمنهج غريماس وهو أشبه بعملية نقل خجولة للخطوط العامة لمنهج غريماس كما نقله بعض الباحثين، كقوله إن غريماس اختزل وظائف بروب بستة عوامل وأن المعنى عنده لا يظهر إلا بالتمفصل[٥٦]، وكلامه عن البنية السطحية والبنية العميقة المتمثلة بالمربع السيميائي بدون تفاصيل دقيقة، على الرغم من أن الباحث أشار لهذه المقدمات النظرية التي يحتاجها في تطبيقه وهو ليس مدعوا إلى التفصيل في التنظير ولكن يجب أن يكون دقيقا في ذلك، يقول الباحث "استطاع كريماس استيعاب ما توصل إليه بروب فسعى إلى تطويره وتشذيبه فعمد إلى اختزال الوظائف التي اقترحها بروب من إحدى وثلاثين وظيفة إلى ستة عوامل هي (المرسل والمرسل إليه والفاعل والموضوع والمساعد والمعارض) بينها ثلاث علاقات ثنائية، هي علاقة الرغبة وتضم المرسل والمرسل إليه وعلاقة التواصل وتضم الفاعل والموضوع وعلاقة الصراع وتضم المساعد والمعارض"[٥٧]، لعل وظائف بروب التي تذكر دائما بمقابلة عوامل غريماس هي مؤثر واضح لا يخفى عن أحد ولكن أغلب الباحثين العرب والعراقيين لا يذكرون الأساس الأصلي – اللساني مثلا– لمنهج غريماس، مثل نظرية دي سوسير في اللسانيات، ونظريات علم الصوت في مدرسة براغ عند ياكوبسن التي جعلت دراسة علم الصوت (الفونولوجيا) في مصاف الدراسات

العلمية الدقيقة، وكذلك التأثير الواضح للدنمركي هلمسليف في قضية الجوهر والشكل للمعنى وما ذكرنا من ذلك في التمهيد لهذه الدراسة، ولعل بعض الباحثين يؤكد هذه القضية (التأثر ببروب) في السرد لأنها الجانب الأكثر وضوحا في نظرية غريماس في سيمياء السرد، ويغفلون أن العلاقات بين العوامل عند غريماس في البنية السطحية هي مرتبطة بعلاقات السيم ونواة المعنى في البنية العميقة، مثل قضية الاتصال والانفصال بين الذات والموضوع في البنية السطحية نراها متأسسه على ميزة الانفصال والاتصال في (السيم) النووي[٥٨]، وأن العلاقات المشهورة لهذه العوامل الستة لم يذكرها الباحث بصورة صحيحة؛ لأن علاقة التواصل هي التي تربط المرسل بالمرسل إليه وعلاقة الرغبة هي التي تربط الذات بالموضوع ليكون الموضوع محل رغبة ونزاع وليس العكس، وهذه العوامل هي عوامل على مستوى الدلالة لها ممثلون في الحكاية وقد تتداخل فيما بينها – كما ذكرنا ذلك في شرح كتاب كورتيس مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية – وهؤلاء الممثلون قد تكون لهم إشكال صورية كتابية أو سينمائية أو تماثيل منحوتة أو أي شكل من خلال لغة طبيعية أو غير طبيعية.

يقول الباحث في المبحث الأول من الفصل الأول في القسم الثاني من دراسته "لما كانت المنامات نصا تواصليا فأننا واجدون ما ذهب إليه غريماس متجسدا في بنيته القصدية إذ تعد قصديه الرغبة في حمولات النص المنامي متوافرة بين طرفي العملية التواصلية وكما أن القصدية التواصلية تتجاوز حدود الرغبة في نص المنامة لتغدو قيمة واصلة بين الفاعل النصي وموضوع الخطاب مما يجعل المتلقي شغوفا لتحقيقه ..."[٥٩] ، يبدو من كلام الباحث أنه كان مؤمنا أن علاقة الرغبة هي بين المرسل والمرسل إليه رغم أنها بين الذات

والموضوع[٦٠]، وقد توهم الباحث في ذلك وبنى كلامه على هذا التوهم الواضح من عنوان المبحث (تجليات الرغبة والتحولات الوظيفية)، لأنه بدأ كلامه عن طرفي عملية التوصيل، ويذكر القصدية في ضوء منهج غريماس، ويبدو أن الباحث هنا يتكلم على سيمياء التواصل التي ترتكز على نية القصدية بين المرسل والمرسل إليه وهذا ما رفضه غريماس في سيمياء السرد، على اعتبار أن أي رسالة قد تلتقط بدون قصد بغض النظر عمن كان مسؤولا عن تشكيل هذه الرسالة، ويذكر ذلك جوزيف كورتيس في أمثلته التي يضربها ليخرج سيمياء التواصل من مفهوم السيميائية أصلا، كأمثلة سكك حديد إيطاليا وتشكيلات الكون وغيرها[٦١]، لأن الاتصال يكون "غير إرادي ولكنه حقيقي"[٦٢]، ليس من الممكن أن نضع قصديه التوصيل في العلامات في ظل دراسة سيمياء السرد عند غريماس لأن الاتصال عنده غير إرادي لذلك نراه يؤكد السيمياء العامة دائما[٦٣]، ومن التضليل أن نضع مقولة الرغبة في ضمن توصيل المرسل إلى المرسل إليه؛ لأن علاقة الرغبة تكون بين الذات الفاعلة والموضوع المرغوب به، والغريب أن الباحث أشار لكتاب جوزيف كورتيس (مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية) فيما يتعلق بالمربع السيميائي وهذا الكتاب شرح به كورتيس نظرية سيمياء السرد لدى غريماس وقد اشترك معه في كتب المعاجم الفرنسية وهو عضو مهم في مدرسة باريس مع غريماس، وقد كتب غريماس مقدمة لكتاب جوزيف كورتيس (مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية) وفي هذا الكتاب يحدد جوزيف كورتيس في بدايته أن سيميائية السرد عند غريماس لا علاقة لها بسيمياء التوصل بسبب وجود ما يسمى (النية) وقصديه التواصل، لذا فمن غير المقنع أن يتبنى الباحث في بحثه وتطبيقه نظرية غريماس ثم يبدأ في قصدية التواصل.

اختار الباحث النص المنامي بوصفه سردا عجائبيا كي يكون ميدانا لنظرية سيمياء السرد عند غريماس في شقيها (البنية السطحية والبنية العميقة)، وقد أجاد الباحث في ربط النص المنامي بإمكانية تطبيق النظرية عليه، ولكن السؤال المهم هو هل وفق الباحث في تطبيق هذه النظرية على النص المنامي؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال سنأخذ نماذجاً من نصوصه وتطبيقه لتصل إلينا الإجابة بصورة علمية وعملية.

يروي الباحث نصا مناميا عن ابن أخٍ لدعبل الخزاعي الذي قال "حدثني عمي دعبل ابن علي قال رأيت النبي (ﷺ) في المنام فقال لي: مالك وللكميت ابن زيد؟ فقلت يا رسول الله، ما بيني وبينه إلا كما بين الشعراء، فقال: لا تفصل أليس هو القائل:

فلا زلت فيهم حين يشتمونني ولا زلت في أشياعهم أتقلب

فإن الله قد غفر له بهذا البيت، قال فانتهيت عن الكميت بعدها"[٦٤]، أكد الباحث أن النص المنامي هو ضرب من السرد وقد ذكر أن الذات (دعبلا) تريد أن تحقق موضوعا وهو تبرير الخلاف بينه وبين الكميت[٦٥]، وإنها في ذلك إما حالتا الانفصال والاتصال عن تحقيق الموضوع ورغبتها الإطاحة بمنافسه (الكميت) من جهة والحصول على عناية الرسول (صلى الله عليه واله) من جهة أُخرى[٦٦]، وهي تستنجد بالرؤيا كوسيلة لتدعم فعلها حتى بدت الرؤية متوافقة مع شدة رغبتها وإلحاحها بما ترويه، هكذا يحلل الباحث هذا النص المنامي من الناحية السيميائية في السرد، بداية نحن نتعامل مع النص المنامي بوصفه سردا مستقلا عن أي مؤثرات خارجية وهذه من أبجديات التحليل السيميائي للنص عند غريماس، لعدم الوقوع في نظريات السوسيولوجيا (علم الاجتماع) وعلم النفس

(السايكولوجيا)[٦٧] ، بل إن غريماس قلل من أهمية اللغة الطبيعية كوسيلة للسرد التي يمكن أن تستبدل بوسيلة أُخرى (غير اللغة الطبيعية) من أجل الخروج من مأزق وتفرعات علم الاجتماع وعلم النفس بوصفهما مؤثرا خارجيا على النص، ثم أن رائي الرؤيا وراويها في هذه القصة – كما في أي نص منامي – فعله الرئيس هو نقل الرؤيا وليس بالضرورة أن يكون هو الذات الفاعلة، ففي هذه الرؤيا السردية يمكن أن تكون شخصية الرسول(ص)هي الذات الفاعلة المتمثلة بالكفاءة والقدرة على الإنجاز والمعرفة، وهدفها (موضوعها) هو حل النزاع بين دعبل والكميت، والعامل المساعد كان بيت الشعر المذكور، والعامل المعارض هو تبرير دعبل للخلاف، ومعناه أن ما بيننا طبيعي فيجب أن يستمر وقد حققت الذات موضوعها واتصلت به لما لها من معرفة وقدرة في تحقيق الفعل وانتهى الخلاف؛ لأن الذات لو كانت (دعبل) وموضوعها (التبرير) كما ذكر الباحث لحققت هدفها أصلا بالتبرير؛ لأنه قام بفعل التبرير فعلا ويفترض أن تنتهي القصة بعد أن اتصلت الذات بموضوعها، يبدو أن الباحث يذكر مصطلحات الرغبة والذات والموضوع وغيرها من اتصال وانفصال ولكن تطبيقه كان عملية تأويل محض بعيدا عن منهج غريماس وليس لها من هذا المنهج سوى المصطلحات المذكورة، لأن لم يستطع أن يخرج من تأثير التاريخ وعلم النفس فهو يذكر طبقات الشعراء التي ينتمي لها دعبل والكميت والمنافسة بينهما في الواقع التاريخي وهذا كله خارج النص، وكان يمكن أن يتناوله بطريقة تطبيق البنية العميقة بصورة مخفية عن طريق الرجوع إلى السيمات والسيميمات وصولا إلى المربع السيميائي.

وفضلاً عمّا في رواية منام ابن سيرين ويذكر الباحث المربع السيميائي ليكون مدخلا إلى دراسة عمق النص المنامي فيقع أيضا في فخ علم النفس والتاريخ الذي يرفضهما غريماس في التحليل السيميائي للنص، يقول الباحث في ذلك "وتمثل بنية المربع العلائقية المستوى العميق الذي نصادفه عند كل ملفوظ سردي ومن منطلق منطقي فهو يكون قانونا لكل رغبة يراد البوح بها والحديث عنها ... هذا الفعل الخيالي التي تفترض وجود منطقة عميقة ينبعث منها المنام، وهذا يشتمل على بعد إنساني عام يخص التاريخ البشري عموما وبعد خاص يرتبط بتاريخ صاحب المنام نفسه، لذا يكون من المسلم به أن نمارس نوعا من التراجع"[٦٨]، لعل الدخول إلى معرفة البنية العميقة يكون من خلال الوقوف على أساس وأصل معنى النص والوصول إلى نواة المعنى التي تكون السيم الأصلي، والذي يجتمع مع سيمات أُخرى لتكون السيم الثقافي وسيميمات وهي التي تقترب من الظهور في سطح المحتوى للقصة (بعيدا عن التعبير)، هذا هو الخط العام للعمل الإجرائي للبنية العميقة[٦٩]، وليس الولوج في تاريخ صاحب المنام أو "لعلاقات جدلية اختصرها فرويد وأنصاره بالرغبات المكبوتة"[٧٠]، فمن غير الصحيح قطعا أن نذكر منهج غريماس وندعمه بتعليلات فرويد النفسية؛ لأن هذا خروج سافر عن النص وعن القصة وبعيد عن الاكتفاء المنهجي للسرد عند غريماس[٧١]، وقد استند الباحث عليه كثيرا لتحليل أقاصيص المنامات فلم نجد على أقل تقدير اختيار (سيم) معين وذكر نقيضه كما يرتكز المربع السيميائي على ذلك، ولا حتى مخطط يوضح هذا المربع فأين علاقات التضاد والتناقض الذي زعمها الباحث في الإشارة إلى المربع السيميائي والذي يعد من صميم البنية العميقة في السرد وليس العمق التاريخي العام والعمق التاريخي الخاص للنفس

البشرية، فذلك لا علاقة له بالبنية العميقة في منهج غريماس، على الرغم من أن الباحث ذكر المربع السيميائي في الجانب النظري ولكنه لم يطبق ذلك في جانب التطبيق، فهو يظن أن تطبيق البنية العميقة بطريقة التأويل الشخصي والاستعانة بعلم النفس والتاريخ التي تؤكد دراسات سيمياء السرد – كما ذكرنا – بضرورة الابتعاد هنا.

ويبدو أن الباحث لم يتورع عن ذكر القصدية في تحليله السيميائي كما يظهر في تحليله لحكاية (أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام) ونجد ذلك في قوله "نلمح استعانة بشخصية معماة بمقصدية منشودة لأجل تعظيم النتائج"[٧٢]، ونلاحظ أنه يعود ليؤكد المقصدية كما فعل في تحليله السابق وهو يبتعد في ذلك التحليل عن سيمياء السرد عند غريماس كما وضحنا.

الهوامش

(١) ينظر: السيميائيات السردية، مدخل نظري، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ٢٥.

(٢) نفسه، ٢٦.

(٣) ينظر: نفسه، ٢٨.

(٤) نفسه، ٣٣-٣٤.

(٥) ينظر: نفسه، ٣٥.

(٦) ينظر: المكان نفسه.

(٧) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جوزيف كورتيس، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧م، ط١، ت: د. جمال حضري. ١٠٥ وما بعدها .

(٨) ينظر: السيميائيات السردية، ٣٧-٣٨.

(٩) نفسه، ٤٤.

(١٠) ينظر: نفسه، ٤٥.

(١١) المكان نفسه.

(١٢) ينظر: في المعنى(دراسات سيميائية)،الجير داس جوليان غريماس، ت: ا.د نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، ١٩٩٩م، ١٤.

(١٣) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ٥٥ و ٥٨.

(١٤) ينظر: نفسه،٦٣ .

(١٥) السيميائيات السردية، سعيد بنكراد، ٤٦.

(١٦) ينظر: في المعنى، غريماس، ٩-١٠.

(١٧) ينظر: مدخل إلى المدارس اللسانية، د. السعيد شنوقة، المكتبة الأزهرية المعاصرة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ط١، ٨٢ ، وينظر: السيمياء :الأُصول والقواعد والتاريخ، ان اينو وآخرون، ت: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، ط ١ ٢٠٠٨، ١٢٣.

(١٨) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ٦٨.

(١٩) ينظر: نفسه، ٩٨،٨٨،٧٢.

(٢٠) ينظر: مقدمة في السيميائية السردية، د. رشيد بن مالك، دار القصة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠ ، ٢٠-٢١.

(٢١) ينظر: نفسه، ٢١.

(٢٢) ينظر: التحليل السيميائي للخطاب الروائي، عبد المجيد نوسي، مكتبة الأدب المغربي، شركة النشر والتوزيع المدارس ،الدار البيضاء، ٢٠٠٢ ،ط١، ١٥٠.

(٢٣) ينظر: مقدمة في السيميائية السردية، د. رشيد بن مالك، ٣٢.

(٢٤) نفسه، ٣٣.

(٢٥) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٠٥، ١٠٦.

(٢٦) ينظر: فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، إشراق سامي عبد النبي، كلية الآداب / البصرة، ٢٠٠٦، ٦٧ .

(٢٧) مثله، ص٧٨ .

(٢٨) فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، ٨٨.

(٢٩) مثله، ص٨٨ .

(٣٠) نفسه، ٨٢.

(٣١) نفسه، ٨٤.

(٣٢) فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، ٨٤.

(٣٣) نفسه، ٨٥.

(٣٤) نفسه، ٨٠.

(٣٥) نفسه، ٨٧.

(٣٦) فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، ٩٠.

(٣٧) مثله، ١٢٢-١٢٣.

(٣٨) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٢٣.

(٣٩) فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، ١٠٧.

(٤٠) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٢٣.

(٤١) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٢٣-١٢٤.

(٤٢) نفسه، ١٢٣-١٢٤.

(٤٣) نفسه، ١٢٤.

(٤٤) ينظر: ص١٠ من البنية السردية في ملحمة الحرافيش(دراسة سيميائية) للدكتور غسان نجم عبد الله، رسالة ماجستير، جامعة البصرة ،٢٠٠٧.

(٤٥) نفسه، ١٣.

(٤٦) ينظر نفسه ص ١٠

(٤٧) ينظر: في المعنى، ١٤.

(٤٨) ص ١١ البنية السردية في ملحمة الحرافيش .

(٤٩) نفسه، ١٢.

(٥٠) ينظر: ٢٦ البنية السردية في ملحمة الحرافيش .

(٥١) نفسه، ٢٦.

(٥٢) ينظر: في المعنى، ٩-١٠ .

(٥٣) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ٥٥.

(٥٤) نفسه، ٥٦.

(٥٥) ينظر: ٢٠ –٢١ البنية السردية في ملحمة الحرافيش.

(٥٦) ينظر: سيمياء سرد المنامات للدكتور أحمد عباس كامل، ١٦١، أُطروحة دكتوراه، جامعة ذي قار، ٢٠١٦.

(٥٧) نفسه، ١٥٩.

(٥٨) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٠٥ وما بعدها .

(٥٩) سيمياء سرد المنامات، ١٦١.

(٦٠) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ١٥٠.

(٦١) ينظر: نفسه، ٥٥ .

(٦٢) نفسه، ٥٦.

(٦٣) ينظر: في المعنى، ١٢.

(٦٤) سيمياء سرد المنامات،١٦٥.

(٦٥) ينظر: نفسه، ١٥٦.

(٦٦) ينظر: نفسه، ١٦٦.

(٦٧) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ٥٥ .

(٦٨) سيمياء سرد المنامات، ١٦٨.

(٦٩) ينظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ٧٦ وما بعدها.

(٧٠) سيمياء سرد المنامات، ١٦٨.

(٧١) ينظر: في المعنى، ١١.

(٧٢) سيمياء سرد المنامات، ١٧٢.

المصادر

١. البنية السردية في ملحمة الحرافيش(دراسة سيميائية)، للدكتور غسان نجم عبدالله، رسالة ماجستير، جامعة البصرة ،٢٠٠٧.

٢. التحليل السيميائي للخطاب الروائي، عبد المجيد نوسي، مكتبة الأدب المغربي، شركة النشر والتوزيع المدارس،الدار البيضاء، ٢٠٠٢ ، ط١.

٣. السيمياء :الأُصول والقواعد والتاريخ، ان اينو وآخرون، ت: رشيد بن مالك، دار مجدلاوي للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨.

٤. سيمياء سرد المنامات، للدكتور أحمد عباس كامل، أُطروحة دكتوراه، جامعة ذي قار ٢٠١٦.

٥. السيميائيات السردية، مدخل نظري، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

٦. فن الخبر في كتاب لطف التدبير دراسة وظائفية، إشراق سامي عبد النبي، كلية الآداب/ البصرة، ٢٠٠٦.

٧. في المعنى(دراسات سيميائية)،الجير داس جوليان غريماس، ت: ا.د نجيب غزاوي، مطبعة الحداد، اللاذقية، ١٩٩٩م.

٨. مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، جوزيف كورتيس، منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠٠٧م، ط١ ، ت: د. جمال حضري.

٩. مدخل إلى المدارس اللسانية، د.السعيد شنوقة، المكتبة الأزهرية المعاصرة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ط١.

١٠. مقدمة في السيميائية السردية، د. رشيد بن مالك، دار القصة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠.